



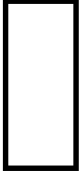
أضواء البيان



على عقيدة وسلوك

(ابن علوان)

كتبه / أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي كشف بنور كتابه الظلمات، ودل على وحدانيته بأنواع الدلالات، وهدى عباده بما أنزله إليهم من الآيات البينات، ووعد من تمسك به بأنواع الخيرات، وقمع بكتابه المعتدين، وكشف به ظلمات المشركين، وآخى به قلوب الموحدين، ووعد بحفظ دينه فلا يناوله المبدلون وأقام له أهل العلم فهم عنه ذابون ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أحمدته حمداً راجياً لثوابه وأشكره شكراً متقرباً لجناحه وأصلي وأسلم على رسوله وصحابه

أما بعد:

فقبل الخوض في شخصية ابن علوان أحب أن أضع بين يديك هذه المقدمة النافعة في بيان التوحيد وخطورة الشرك فإنَّ الذين فتنوا في هذا الرجل ووقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك الأكبر إِنَّمَا جَرَّهْمَ إِلَى ذَلِكَ جَهْلُهُمَ بالتوحيد وما يضاده من الشرك.

الباب الأول: في ذكر مقدمة نافعة في التوحيد.

فصل: في بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل.

قلت: التوحيد الذي دعت إليه سائر الرسل هو توحيد الألوهية الذي يقال له توحيد العبادة وهو معنى لا إله إلا الله، وهو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء/٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف/٥٩].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف/٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف/٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف/٨٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود/٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَالِىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود/٦١].

وقال الله تعالى: ﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود/٨٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون/٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

قلت: فهذا هو التوحيد الذي أرسلت به سائر الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وأنت ترى أنَّ سائر المرسلين دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما دلت عليه هذه الآيات وهذا هو معنى التوحيد ومعنى لا إله إلا الله، وليس المراد بهذه الكلمة ما يظنه كثير من أهل الأهواء أنَّ معناها لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مالك إلا الله، فإنَّ هذا مما يقرُّ به المشركون فليس النزاع بينهم وبين المرسلين في هذا الأمر وإنَّما في إفراد الله بالعبادة ولهذا قال قوم نوح عليه السلام لنوح: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف/٧٠].

فهذا التوحيد الذي دعا إليه نوح عليه الصلاة والسلام وسائر المرسلين وهو الذي حصل فيه النزاع بين المرسلين وأممهم.

وأما كون الله عز وجل هو الخالق والرازق والمالك فهذا مما لم ينازعوا فيه رسلهم بل هم مقرون بذلك كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت / ٦١ - ٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان / ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر / ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف / ٨٧].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [مدارج السالكين] (٣ / ١٩ - ٢٠):

«وليس كما زعم المنكرون أن الإله هو الرب الخالق فإن المشركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا الله ولا خالق سواه وبأنه وحده المنفرد بالخلق والربوبية ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية وهو المحبة والتعظيم بل كانوا يؤلهون مع الله غيره وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله وصاحبه ممن اتخذ من دون الله أنداداً» اهـ.

وقال رحمه الله في [عدة الصابرين] ص (٣٥):

«ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرد عباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربهم ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته» اهـ.

فصل : في بيان معنى الشرك وعظيم خطره.

قلت: الشرك هو صرف العبادة لغير الله.

والدليل أن هذا هو معنى الشرك أن هذا الأمر هو الذي أنكره المرسلون على أمهم كما قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَفُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦، ٨٥].

وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧٧]

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾ [يونس: ١٠٤ - ١٠٦].

وقال الله تعالى حاكياً ما قاله يوسف عليه الصلاة والسلام لصاحبي السجن: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ

سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴿ [يوسف: ٣٩، ٤٠]

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ
(٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾
قلت: والآيات في ذلك كثيرة وكلها تدل أن الذي استنكره المرسلون على أمهم هو صرف
العبادة لغير الله عز وجل.

قلت: فإذا تبين لك أن معنى الشرك هو صرف العبادة لغير الله فلا بد أن تعلم ما هي العبادة
التي إذا صرفت لغير الله وقع صارفها في الشرك.

والجواب على ذلك أن يقال: إنَّ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٠ / ١٤٩ - ١٥٠):

«العبادة» هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة
فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة
الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين
والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء
والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة
إليه. وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه؛ والتوكل عليه؛
والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله اهـ.

قلت: فإذا علمت معنى الشرك الذي أرسل سائر المرسلين لمحاربته فاعلم أن هذا الشرك
هو أخطر الذنوب وأعظمها.

ويتبين خطر الشرك في عدة أمور وهي:

١- أَنَّ الشَّرْكَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

٢- أَنَّ الشَّرْكَ هُوَ: الْإِثْمُ الْعَظِيمُ، وَالضَّلَالُ الْبَعِيدُ

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ .

٣- أَنَّ الشَّرْكَ مِنْ أَسْبَابِ حَرَمَانِ الْعَبْدِ مَغْفَرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ .

٤- أَنَّ الشَّرْكَ مِنْ أَسْبَابِ حَرَمَانِ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ .

٥- أَنَّ الشَّرْكَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ

قال الله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إعلام الموقعين] (١/ ١٨٠): «فتأمل هذا المثل ومطابقته

لحال من أشرك بالله، وتعلق بغيره، ويجوز لك في هذا التشبيه أمران:

أحدهما: أن تجعله تشبيهاً مركباً، ويكون قد شبه من أشرك بالله، وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكاً لا يرجى معه نجاة، فصور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء فاخطفته الطير في الهوى فتمزق مزقاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به، وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان، والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه فمناها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان، والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد، والآلام المتراكمة، والطير الذي تخطف أعضائه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه وتؤزّه أزاً، وترعجه، وتقلقه إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مزعة من دينه، وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء» اهـ.

٦- أن الشرك محبط لعمل صاحبه

قال الله تعالى: ﴿وَنِلْكَ حُجَّتُنَا آتِيَانَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾

وقال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

٧- قذف الله عز وجل الرعب في قلوب المشركين من عباده الموحدين

قال الله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيَنْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

٨- أَنَّ الْمُشْرِكَ لَا أَمَانَ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
قال الله تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

٩- أَنَّ الشِّرْكَ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ فُسَادِ الْعَالَمِ
قال الله تعالى: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ .
قال العلامة الشوكاني رحمه الله في [فتح القدير] (٧٠٦/٣): «قال أبو صالح وابن جريج ومقاتل والسدي: الحق هو الله، والمعنى: لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السموات والأرض» اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الجواب الكافي] ص (٥٩-٦٠): «فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه، وهما الحليم، والغفور كيف تجد تحت ذلك أنه لولا حلمه عن الجناة، ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات، والأرض، وقد أخبر سبحانه عن كفر بعض عباده أنه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً» اهـ.

قلت: وأعظم ذنوب العصاة هو الشرك بالله عز وجل.

وإذا لم يبق في الأرض توحيد لله عز وجل، أذن الله عز وجل بخراب العالم، فتقوم حينئذ الساعة.

فقد روى مسلم في [صحيحه] (١٤٨) عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ، اللَّهُ».

ورواه أيضاً (١٤٨) بلفظ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ، اللَّهُ».

١٠- أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَرْسِلِ الرُّسُلَ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْكُتُبَ، إِلَّا بَعْدَ وَجُودِ الشِّرْكِ
قلت: قد كانت الذنوب، والمعاصي موجودة قبل إرسال الرسل، كالقتل، وغيره، ولكن الله عز وجل لم يرسل الرسل حتى وجد الشرك في الأرض، وكان أول شرك وجد في الأرض هو شرك في قوم نوح عليه السلام، فأرسل الله عز وجل إليهم نوحاً عليه السلام، فكان أول رسول أرسله الله عز وجل إلى أهل الأرض.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

والمعنى: كان الناس أمة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد وهو دين التوحيد فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

فصل : في بيان أن أعظم أنواع الشرك هو الشرك المتعلق بالأولياء، والصالحين.

قلت: وذلك أن الفتنة بهم أعظم من الأحجار، والأشجار.
والشرك في الصالحين من الملائكة، والبشر، كان مشهوراً في الأمم السابقة الذين أرسل الله عز وجل إليهم المرسلين.

قال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة، والأنبياء، كالعزيز، والمسيح فبين الله تعالى أن الملائكة، والأنبياء عباد الله، كما أن الذين يعبدونهم عباد الله، وبين أنهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين.

وقال الله عز وجل فيمن عبد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

وقال الله عز وجل فيمن عبد الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

وهناك من المشركين من كان يعبد عزيزاً، قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٦﴾

وهكذا شرك قوم نوح عليه السلام كان في الصالحين، كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَتَكَ وَلَا تَنْزِلْ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

وهذه أسماء لرجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا عكفوا على قبورهم، وصوروا لهم التماثيل، فطال عليهم الأمد، فعبدوهم من دون الله عز وجل.

وهكذا المشركون في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدوا الصالحين، كما قال الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾.

و«اللات» بتشديد التاء صفة للوثن الذي عبده، وكان رجلاً يَلْتُ السويق للحاج؛ فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في [مجموع الفتاوى] (١٧/٤٦٠-٤٦١): «وإنما المقصود أنَّ أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم، وهم المقصودون، ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب، إما الشمس، وإما القمر، وإما غيرهما، وصورت الأصنام طلاسماً لتلك الكواكب، وشرك قوم إبراهيم، والله أعلم كان من هذا، أو كان بعضه من هذا.

ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة، أو الجن، وضعت الأصنام لأجلهم، وإلَّا فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها، بل لأسباب اقتضت ذلك، وشرك العرب كان أعظمه الأول، وكان فيه من الجميع، فإنَّ عمرو بن لحي هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، وكان قد أتى الشام، ورآهم بالبلقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة، ولالة البيت قبل قريش، وكان هو سيد خزاعة، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار- أي أمعاءه- وهو أول من غير دين إبراهيم، وسيب السوائب، و بحر البحيرة"، وكذلك والله أعلم شرك قوم نوح، وإن كان مبدؤه من عبادة الصالحين، فالشيطان يجر الناس من هذا إلى غيره، لكن هذا أقرب إلى الناس لأنهم يعرفون الرجل

الصالح، وبركته، ودعائه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك منه، فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله به، وتارة يصلون، ويدعون عند قبره ظانين أنَّ الصلاة، والدعاء عند قبره أفضل منه في المساجد، والبيوت» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً (٧٩/٢٧): «وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان» اهـ.

وقال رحمه الله تعالى في [الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح] (٧٤/٥): «لا يوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة، والاستشفاع بهم، ولا بدعاء الموتى من الأنبياء، والصالحين، والاستشفاع بهم، فضلاً عن دعاء تماثيلهم، والاستشفاع بها، فإنَّ هذا من أصول الشرك الذي نهت عليه الرسل، وهذا كان أصل الشرك في بني آدم من عهد نوح عليه السلام» اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (٢٨٦/٢): «وأصل الشرك وعبادة الأوثان من العكوف على القبور واتخاذها مساجد» اهـ.

وقال رحمه الله أيضاً (١٨٤/١-١٨٥): «فقد رأيت أن سبب عبادة ود، ويغوث، ويعوق، ونسراً، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل، وعبدوها، كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال شيخنا: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإنَّ النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاس للكواكب، ونحو ذلك فإنَّ الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة، أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم

عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها، والدعاء ما لا يرجونه في المساجد» اهـ.

قلت: وكلام شيخ الإسلام هذا موجود في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (٤٣٣)

فصل : سد النبي صلى الله عليه وسلم جميع الطرق الموصلة إلى الشرك في الصالحين.

لقد سد النبي صلى الله عليه وسلم جميع الطرق الموصلة إلى الشرك بالصالحين، ويتبين هذا في نهيه عليه الصلاة والسلام عن الغلو فيهم، فإنَّ الغلو في الصالحين من أعظم أسباب الشرك بهم، ولهذا نجد أنَّ الذين عبدت قبورهم من دون الله، قد أشاع السدنة على قبورهم كثيراً من الأكاذيب في شأن كراماتهم، مما أدى إلى اتجاه كثير من الجهال لعباداتهم.

وقد نهى الله عز وجل عن الغلو في الصالحين فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝﴾ .

وقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم باب الغلو في الصالحين، فنهى عن جميع صورته، سواء في ذلك ما تعلق بالأقوال، أو ما تعلق بالأفعال، ومن أمثلة ذلك:

١- نهيه ﷺ عن الغلو في المدح.

فروى البخاري (٣٤٤٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ».

وروى أبو داود (٤٨٠٦) مِنْ حَدِيثِ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا:

وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».

قلت: وهو حديث صحيح.

وروى مسلم في [صحيحه] (٣٠٠٢) عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ، فَعَمِدَ الْمُقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَجَعَلَ يَخْثُو فِي وَجْهِهِ الْحُضْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاخْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ».

٢- نهيه ﷺ عن الحلف بغير الله عز وجل

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَخْلِفُ بِأَيْهِ، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ».

أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦)

وروى مسلم (١٦٤٨) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَخْلِفُوا بِالطَّوْأغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ».

٣- نهيه ﷺ عن قول من يقول: ما شاء الله، وشئت

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا».

أخرجه أحمد (١٧٤٢، ١٨٦٣، ٢٤٣٠، ٣٠٧٧)، والنسائي في [الكبرى] (١٠٨٢٥)، وابن

ماجة (٢١١٧) من طريق الأجلح، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قلت: هذا إسناد حسن من أجل الأجلح.

ورواه أبو داود الطيالسي (٤٢٥)، وأحمد (٢٣٤٢٩)، والنسائي في [الكبرى] (١٠٨٢١)، من طريق شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فَلَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ».

قلت: هذا إسناد منقطع بين عبد الله بن يسار، وحذيفة.

قال الحافظ العلائي رحمه الله في [جامع التحصيل] ص (٢٨١): «قال عثمان بن سعيد سألت يحيى بن معين عن عبد الله بن يسار الذي يروي منصور عنه عن حذيفة "لا تقولوا ما شاء الله" ألقى حذيفة قال: لا أعلمه، قلت: وروي أيضاً عن علي رضي الله عنه فيكون أيضاً مراسلاً» اهـ.

وروى أحمد (٢٥٨٤٥)، والنسائي في [المجتبى] (٦/٧)، و[الكبرى] (١٠٨٢٢) من طريق مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ قُتَيْبَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَنِيَّةِ قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْكُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ؟»، قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ وَالْكَعْبَةَ، قَالَتْ: فَأَمَهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدَاءً، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ؟»، قَالَ: تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: فَأَمَهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ قَالَ، فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَلْيَقْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ». هذا لفظ أحمد.

قلت: هذا حديث صحيح.

وروى الإمام أحمد في [مسنده] (١٩٧٧٣) حَدَّثَنَا بَهْزٌ، وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ طَفِيلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، أَنَّهُ رَأَى فِيهَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ:

إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قَالَ عَفَّانُ: قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا صَلَّوْا، خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَتُهَاكُمْ عَنْهَا»، قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ».

قلت: هذا حديث حسن من أجل عبد الملك بن عمير، فإنه حسن الحديث.

وقد جاء الحديث من طرق عن عبد الملك بن عمير منها:

١- طريق أبي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري عنه عن ربعي بن حراش عن الطفيل. أخرج ذلك ابن ماجة (٢١١٨).

٢- طريق عبيد الله بن عمرو أبي الوليد الرقي عنه عن ربعي عن الطفيل. أخرج ذلك الحاكم في [المستدرک] (٦٠١٦).

٣- طريق شعبة عنه عن ربعي عن الطفيل.

أخرجه أحمد (٢٣٤٣٠)، والدارمي (٢٦٩٩)، وأبو يعلى (٤٦٥٥)، والطبراني في [الكبير] (٨٢١٤).

٤- طريق سفيان بن عيينة عنه عن ربعي بن حراش عن حذيفة.

أخرج ذلك ابن ماجة (٢١١٨)، والنسائي في [عمل اليوم والليلة] (٩٩٠)، والبزار (٢٨٣٠).

قلت: هكذا ذكر سفيان في روايته عن عبد الملك عمير حذيفة، بدل الطفيل، وهذا لاشك أنه وهم، وخطأ، والله أعلم.

قال الحافظ البزار في [مسنده] (٢٥٢/٧-٢٥٣): «هكذا قال ابن عيينة عن عبد الملك عن ربعي عن حذيفة، وقال شعبة، وأبو عوانة عن عبد الملك عن ربعي بن حراش عن الطفيل أخي عائشة لأُمها، وقال معمر عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة. والصواب حديث عبد الملك عن ربعي عن الطفيل أخي عائشة» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في [الفتح] (٦١١/١١): «وفي رواية النسائي أن الراوي لذلك هو حذيفة، هذه رواية ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة، وقال أبو عوانة عن عبد الملك عن ربعي عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة بنحوه، أخرجه ابن ماجه أيضاً، وهكذا قال حماد بن سلمة عند أحمد، وشعبة، وعبد الله بن إدريس عن عبد الملك وهو الذي رجحه الحفاظ، وقالوا إن ابن عيينة وهم في قوله: عن حذيفة والله أعلم» اهـ.

٥- وأخرجه معمر في [جامعه] (٩٨١٣) - مطبوع آخر مصنف عبد الرزاق] عن عبد الملك بن عمير مرسلًا.

قلت: الصحيح في الحديث الوصل، كما رواه الحفاظ عن عبد الملك بن عمير كما تقدم.

٤- نهيه ﷺ عن شد الرحال إلى القبور

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

وعن قزعة، مَوْلَى زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ بِأَرْبَعٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْجَبَنِي وَآفَقَنِي قَالَ: «لَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ إِلَّا مَعَهَا زَوْجُهَا أَوْ ذُو

مَحْرَمٍ، وَلَا صَوْمَ فِي يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ صَلَاتَيْنِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ وَلَا تُشَدُّ الرَّحَالُ، إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِي».

أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٧/٢١): «مع أن قوله: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر للتجارة، وطلب العلم ونحو ذلك، فإنَّ السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله، فإنه هو المقصود حيث كان» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (٣٢٨): «وأيضاً فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة، ويستحب أخرى، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يحصى، فالسفر إلى بيوت الموتى من عبادته أولى أن لا يجوز» اهـ.

قلت: شد الرحال، والسفر من أجل زيارة القبور من الغلو فيها، الذي هو ذريعة إلى عبادتها، والمقصود من زيارة القبور ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

أخرجه مسلم (٩٧٦). من حديث أبي هريرة.

قلت: وتذكر الموت يحصل بزيارة القبور المجاورة، فليس هناك حاجة شرعية لشد الرحال إلى زيارة القبور. وهكذا إن أراد بزيارته للقبور الدعاء للأموات، فالدعاء لهم لا يشترط فيه السفر إلى قبورهم، بل يمكنه أن يفعل ذلك في أي مكان من الأرض.

٥- نهيه ﷺ عن البناء على القبور وتجسيصها، وأمره بتسويتها

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٩٦٨) عن ثُمَامَةَ بْنِ شُفْيٍ، حَدَّثَهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتَوَفَّى صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسَوَّى، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْمُرُ بِتَسْوِيَّتِهَا».

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٩٦٩) عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تَمْنَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي حَبِيبٌ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «وَلَا صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا».

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٩٧٠) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ».

٦- نهيه ﷺ عن الصلاة إلى القبور

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٩٧٢) عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا».

٧- نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد

روى البخاري (٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١) عَنْ عَائِشَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَفِقَ يَطْرُحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا.

وروى البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وروى مسلم (٥٣٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وروى البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ - أَوْ خُشِيَ - أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا.

وروى البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أَوَّلِيكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرِ، فَأَوَّلِيكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وروى مسلم (١١٨٨) عَنْ جُنْدَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١/١٦٣-١٦٤): «واتخاذ المكان مسجداً هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها، كما تبنى المساجد لذلك، والمكان المتخذ مسجداً إنما يقصد فيه عبادة الله ودعاؤه لا دعاء المخلوقين فحرم أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها كما تقصد المساجد وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده لأن ذلك ذريعة إلا أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به

والدعاء عنده فنهى رسول الله عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله، والفعل إذا كان يفضي إلا مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه» اهـ.

وقال رحمه الله: (٣٩٨/٣): «ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وفي الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتي عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني" ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور، ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة» اهـ.

وقال رحمه الله: (٤٦٣/١٧): «كذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فإن الشرك إنما يحصل إذا ظهرت صورته، ولهذا كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أولاً مقبرة للمشركين، وفيها نخل وخرب فأمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطع وبالخرب فسويت فخرج عن أن يكون مقبرة فصار مسجداً» اهـ.

وقال رحمه الله: (١٩٤/٢٢-١٩٥): «الحمد لله اتفق الأئمة أنه لا يبنى المسجد على قبر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير أما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني على القبر فأما أن يزال المسجد وإما أن تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل فإنه منهى عنه» اهـ.

وقال رحمه الله: (٣٠٢/٢٤-٣٠٣): «وأما جعل المصاحف عند القبور لمن يقصد قراءة القرآن هناك وتلاوته فبدعة منكرة لم يفعلها أحد من السلف بل هي تدخل في معنى اتخاذ المساجد على القبور، وقد استفاضت السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك حتى قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وقال: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" ولا نزاع بين السلف والأئمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد. ومعلوم أن المساجد بنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن فإذا اتخذ القبر لبعض ذلك كان داخلاً في النهي فإذا كان هذا مع كونهم يقرأون فيها فكيف إذا جعلت المصاحف بحيث لا يقرأ فيها ولا ينتفع بها لا حي ولا ميت فإن هذا لا نزاع في النهي عنه. ولو كان الميت ينتفع بمثل ذلك لفعله السلف فإنهم كانوا أعلم بما يحبه الله ويرضاه وأسرع إلى فعل ذلك وتحريمه اهـ.

وقال رحمه الله: (٢٢٣/٢٧): «فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد» اهـ. وقال رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (١٠٩): «ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة من بناء المساجد على القبور واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة» اهـ.

وقال رحمه الله ص (٤٠٢-٤٠٣): «فإن نهي عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن النهي عن بناء المساجد عليها وعن قصد الصلاة عندها وكلاهما منهي عنه باتفاق العلماء فإنهم قد نهوا عن بناء المساجد على القبور بل صرحوا بتحريم ذلك كما دل عليه النص.

واتفقوا أيضاً على أنه لا يشرع قصد الصلاة، والدعاء عند القبور، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إن الصلاة عندها والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية عن القبور، بل اتفق علماء المسلمين على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تبين على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بنيت على القبور» اهـ.

٨- نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً

روى أبو داود (١٧٤٦): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَرَأْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا يُيُوتُكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

ورواه أحمد (٨٤٤٩) من طريق عبد الله بن نافع به.

قلت: هذا حديث حسن من أجل عبد الله بن نافع فإنه حسن الحديث.

فصل: في بيان حقيقة الولي.

قلت: كثرت المفاهيم الخاطئة في بيان حقيقة الولي فظن كثير من الناس أن الولي لا يكون إلا ميتاً في قبره وقد بنيت على قبره القباب، فصار كثير من الناس إذا رأوا قبة مبنية على قبر قالوا: هذا ولي من الأولياء فيتجهون إليه ويطلبون منه الولد والمدد وشفاء الأمراض وتفريج الكربات ويذبحون عنده أنواع الذبائح ويتقربون إليه بأنواع النذور وقد يكون هذا القبر ليهودي أو نصراني أو لشيوعي أو غير ذلك من أنواع الكافرين، وقد يكون لبعض الحيوانات كالحمير والكلاب والخنازير وقد وجد هذا في بعض القباب التي يزعم الناس أنها قباب لأولياء وصالحين.

ويعتقد كثير من الناس أن الولي يتصرف في الكون، وأنه يجوز دعاؤه والاستغاثة به في الشدائد من دون الله تعالى. وأنه يعلم الغيب، وأنه يغني عن نفسه وعن الخلق. وأنه يباح له مخالفة الشريعة، وأنه يجب التسليم له وعدم الإنكار عليه ولو ترك الجمع والجماعات. هذا هو مفهوم الولي عند كثير من جهال الناس.

وأما المفهوم الصحيح للولي هو ما دلت عليه الأدلة الشرعية كقول الله عز وجل:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾

[يونس: ٦٢، ٦٣].

قلت: فهذه الآية تدل على أن الولي من جمع بين الإيمان والتقوى سواء كان حياً أو ميتاً. وروى البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي

لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

قلت: وهذا الحديث يدل على أن الولي هو من تقرب بالنوافل بعد الفرائض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

- مع مجموع الفتاوى -] (١١ / ١٦٠ - ١٦١):

«و"الولاية" ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد. وقد قيل: إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح. والولي القريب فيقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلا ولي رجل ذكر" أي لأقرب رجل إلى الميت» اهـ.

قلت: واعتقاد أن الولي بيده الضر والنفع من أفسد الاعتقادات الباطلة فهذا نبينا عليه الصلاة والسلام وهو إمام الأولياء ومع هذا يأمره ربه سبحانه وتعالى أن يقول ما أخبر به الله عز وجل في كتابه حيث قال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨) ﴿[الأعراف: ١٨٨].

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١) ﴿[الجن: ٢١].

قلت: واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب من العقائد الكفرية المناقضة لما علم ضرورة من أدلة الشرع من أن علم ذلك مما اختص الله به.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام : ٥٩]

وقال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس : ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾ [النمل : ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ [سبا : ٣].

وقال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧].

قلت: وقد اعترف الملائكة عليهم السلام بأنهم لا يعلمون الغيب كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)﴾ [البقرة : ٣٠ - ٣٢]

واعترف بذلك أيضاً الأنبياء والمرسلون فهذا نبي الله نوح عليه السلام قال لقومه ما حكاها الله عنه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ

لِّلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ [هود : ٣١].

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو أعظم الأولياء يأمره ربه عز وجل أن يخبر الخلق بعدم علمه للغيب كما قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨].

وهكذا الجن أيضاً قد اعترفوا بأنهم لا يعلمون الغيب كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾ [سبأ : ١٤].

فصل : في بيان شرك المشركين الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم وأموالهم.

أقول: إن معرفة هذا الأمر في غاية من الأهمية فإنه بمعرفة ذلك ينكشف للإنسان كثير من شبهات أهل الوثنية. فإن دعاء الوثنية في هذه الأزمان وقبل هذه الأزمان يفرقون بين ما هم فيه وبين ما كان عليه المشركون في الجاهلية بأن المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون في أوثانهم أنها تخلق وترزق ونحن لا نعتقد ذلك فكيف تشبهوننا بأولئك القوم.

والجواب: أن هذا قول من لم يعرف حقيقة ما عليه المشركون في الجاهلية فإن المشركين في الجاهلية لم يكونوا يعتقدون في أوثانهم أنها تخلق وترزق بل هم معترفون أن ذلك كله لله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) ﴿[المؤمنون : ٨٤ - ٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿[العنكبوت / ٦١ - ٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان / ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر/٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف/٨٧].
وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

قلت: فهم معترفون كما ترى بأن الله هو الخالق وهو الرازق وهو المالك وهو المدبر لا كما يزعمه أهل الوثنية في أزماننا من أنهم كانوا لا يعترفون بذلك. على أنه قد وجد من دعاة الوثنية في أزماننا وقبل أزماننا من يعتقد في بعض الأموات أن له تصرفاً في الكون من إحياء وإماتة ورزق وخلق وغير ذلك من الأمور التي هي من خصائص ربوبية الله عز وجل.
ومما يقوله أهل الوثنية في هذه الأزمان وقبل هذه الأزمان إنَّ المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون الرزق والولد من الأوثان وأما نحن فنطلب ذلك من الله لكننا قوم مذنبون والأولياء عندهم وجاهة عند الله فنحن نذبح لهم وننذر لهم من أجل أن يكونوا وسطاء لنا فيشفعون لنا عند الله فكيف تجعلون ما نقوم به مثل ما يفعله أولئك المشركون.

والجواب: أن يقال: إنَّ هذا هو عين ما كان يفعله المشركون الذين حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم حذو القذة بالقذة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا

يُضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتَئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [يونس : ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣].

ومما يقوله أهل الوثنية في هذه الأزمان وقبل هذه الأزمان أيضاً: إِنَّ المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون الأحجار والأشجار وأما نحن فننذر ونذبح لأولياء لهم وجاهة ومنزلة عند الله فكيف تجعلون ما نفعله نظير ما يفعله المشركون الذين حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم.

والجواب على ذلك: أن يقال: ليس جميع المشركين عبدوا الأحجار والأشجار بل هناك من عبد الصالحين من الملائكة والأنبياء وغيرهم وقد بينا ذلك فيما سبق وذكرنا الأدلة في ذلك فارجع إليه.

قلت: وبهذا يتبين أن شرك المشركين في هذه الأيام وقبل هذه الأيام هو مثل شرك المشركين في الجاهلية بل زاد المشركون في هذه الأيام وقبل هذه الأيام أشياء لم تكن موجودة في المشركين في الجاهلية فمن ذلك:

١- أن من المشركين في هذه الأيام من يعتقد في الأولياء الضر والنفع والتصرف في الكون بالإحياء والإماتة والرزق وغير ذلك وهذا خلاف ما كان عليه الناس في الجاهلية فإنهم كانوا يعتقدون أن ذلك كله لله عز وجل كما سبق بيان ذلك.

٢- أن المشركين في هذه الأيام وقبل هذه الأيام يلتجئون في الرخاء والشدة إلى الأموات. وأما المشركون في الجاهلية فكانوا يخلصون الدعاء لله عز وجل وقت الشدة كما قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ

وَفَرِّحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ [يونس : ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء : ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان : ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَاهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٤٠ ، ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسِيَ مَا كَانَ يُدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر : ٨ ، ٩].

٣- قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في [كشف الشبهات] ص (٢٨):

«أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنَا سَا مَقْرِبِينَ عِنْدَ اللَّهِ. إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةَ، أَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا أَوْ أَحْجَارًا مَطِيعَةً لِلَّهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنَا سَا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونُ عَنْهُمْ الْفُجُورَ مِنَ الزَّانِ وَالسَّرِيقَةِ وَتَرَكِ الصَّلَاةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به» اهـ.

الباب الثاني : في بيان عقيدة ابن علوان.

أقول: قد كان أرسل إلى بعض الإخوان شيئاً من كتب ابن علوان فقرأتها بتدبر وإمعان فوجدت فيها ما لم يكن يخطر على الحسبان من أنواع الباطل والبهتان فرأيت لزماً علي بعد أن بصرني الله بالحق أن أكتب عنه ما أعلمه نصحاً للمسلمين وتحذيراً لهم من كيد الماكرين لاسيما وقد فتن به عندنا في اليمن كثير من جهال الناس فسطرت ما علمته عنه وأسأل الله أن ينفع بما كتبت كل من وقف عليه.

فأقول: ابن علوان هو الصوفي المارق المدعي معرفة الحقائق فتنة أهل اليمن وصاحب البلاء فيها والفتن، معبود الصوفية وكل فرقة غوية، ترجم له علامة اليمن ومحدثها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في [صعقة الزلزال] (١/٨٤-٩٣) ومؤرخ اليمن القاضي إسماعيل الأكوع في [هجر العلم ومعاقله في اليمن] (٢/٧٥٠-٧٥٨) كان مولده في قرية ذي الجنان ونشأ بها حتى تزوج بامرأة من (يفرس) فانتقل إليها حتى توفي بها ليلة السبت ٢٠ رجب سنة ٦٦٥ هـ.

قال فيه الشيخ مقبل رحمه الله في [صعقة الزلزال] «أحمد بن علوان الصوفي الزائغ» اهـ.
قلت: وقد جمع في كتبه كثيراً من الضلال والانحراف فمن ذلك:

﴿ قوله بحلول الخالق في المخلوق: ﴾

قلت: وقد وقفت له على كتاب سماه "المهرجان" وهو ملئ بالهذيان ذهب فيه إلى حلول الخالق في الأبدان، وأنه يسكن جسم الإنسان إن كان من أهل الولاية والعرفان فقال ص (٣):

«وإذا أنزلك عزلك، وإذا عزلك حملك، وإذا حملك أغناك، وإذا أغناك أفناك، وإذا أفناك بدا بذاتك، واتصف بصفاتك فكان سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تبصر به ولسانك الذي تنطق به، ويداك التي تبطش بها وقدمك الذي تمشي بها وروحك الذي تحيي به وكنت بيتاً من بيوت الله الكريمة » اهـ.

قلت: هذه عبارات تنضح بالحلول والاتحاد كما هو قول ملاحدة الصوفية وقد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه. وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة.

فلا حجة بهذا الحديث لأهل الاتحاد من ملاحدة الصوفية كما بين ذلك أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في [مجموع الفتاوى] (١٠/٥٨ - ٥٩) - عند كلامه على هذا الحديث - : «بين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال "وأنا أكره مساءته" وهو

سبحانه وتعالى قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك تردداً ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك ، وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي بالمأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه، وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك محال ممتنع والقائل به كافر، وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنسك كالحلاجية ونحوهم» اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب في [جامع العلوم والحكم] ص (٣٦٥) - عند شرحه لحديث أبي هريرة هذا - : «فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محاذ ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق بالله وإن سمع سمع به وإن نظر نظر به وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها" ومن أشار إلى غير هذا فإنها تشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه» اهـ.

❖ تصريحه بوحدة الوجود:

وقد صرح في كتابه هذا [المهرجان] بوحدة الوجود وأن الخالق هو المخلوق فقال ص (٥):

«ما خلق الله إلَّا الله ولا دون ما خلق الله إلَّا الله ألم ترى إلى الله كيف خلق الله ...»
اهـ.

تأمل أخي المسلم الكريم إلى هذا الكلام السقيم، والضلال العظيم الذي لا يصدر إلَّا عن كل شيطان رجيم، فيا لله كم تلاعب الشيطان بأناس حتى أوردتهم هذه الموارد، وغذاهم من العقائد كل عاطل، وكاسد، فاحمد الله إذ نجاك من هذه المصائد وادعوه راکعاً وساجد، فاللهم إنا نبرأ إليك من هذا القول، ومن قائله، ونعوذ بك من زيغ القلوب، وران الذنوب.
قلت: ومن باب العدل والإنصاف أقول: هذا الكلام لا وجود له في كثير من نسخ الكتاب، فلا أستطيع الجزم بثبوته عنه.

❖ تقريره للفناء الصوفي.

قال في كتابه [ديوان الفتوح] ص ٢٣٣-٢٣٤ - بتحقيق عبد العزيز المنسوب - :

«وإذا صفى العبد من سواد العبودية، ودخل في بياض الربوبية، فلا يعرف حتى يتعرف، فإذا تعرف أنكره من لا يعرف، وعرفه من لا ينكر.

تفسيره: إذا صفى العبد من سواد الأغيار، دخل في بياض الأنوار، فحكى ما شاهد من صفات الجبار وغيوب الأسرار، فأنكر ما جاء به سواد الأغيار، واعترف به بياض الأخيار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾» اهـ.

قلت: قرر في كلامه هذا الفناء الذي هو غاية السالكين عند أرباب التصوف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢/٣١٣-٣١٤):

«والفناء ثلاثة أقسام:

فناء عن وجود السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن عبادة السوى

فالأول: هو فناء أهل الوحدة الملاحدة، كما فسروا به كلام الحلاج، وهو أن يجعل الوجود وجوداً واحداً.

وأما الثاني: وهو الفناء عن شهود السوى، فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله، وهو مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكى أن رجلاً كان يحب آخرًا، فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت فلم وقعت أنت، فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني. فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات إذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين.

ومن الناس من يجعل هذا من السلوك، ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية فلا يفرقون بين المأمور والمحظور والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر، وأحكام الربوبية عن شهود الشرع، والأمر والنهي، وعبادة الله وحده، وطاعة رسوله، فمن طلب رفع إنيته بهذا الاعتبار لم يكن محموداً على هذا، ولكن قد يكون معذوراً.

وأما النوع الثالث: وهو الفناء عن عبادة السوى، فهذا حال النبيين وأتباعهم، وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبعبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له وهو الحنيفية ملة إبراهيم.

ويدخل في هذا أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يعطى إلا الله، ولا يمنع إلا الله، فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه اهـ.

قلت: وابن علوان في ديوانه هذا إنما قرر النوع الثاني.

وقال في هذا الفناء شيخ الإسلام أيضاً في كتابه [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (٤٦١) - (٤٦٣):

«ثم إن طائفة ممن تكلم في تحقيق التوحيد على طريق أهل التصوف ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء فيه هو النهاية، وأنه إذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن، واستقباح القبيح، فالهم الأمر إلى تعطيل الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، ولم يفرقوا بين مشيئته الشاملة لجميع المخلوقات، وبين محبته، ورضاه المختص بالطاعات، وبين كلماته الكونيات

التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، لشمول القدرة لكل مخلوق، وكلماته الدينيات التي اختص بموافقتها أنبياءه وأوليائه.

فالعبد مع شهوده الربوبية العامة الشاملة للمؤمن، والكافر، والبر، والفاجر عليه أن يشهد ألوهيته التي اختص بها عباده المؤمنين الذين عبدوه، وأطاعوا أمره، واتبعوا رسله

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الخ.

ومن لم يفرق بين أولياء الله، وأعدائه، وبين ما أمر به، وأوجبه من الإيمان، والأعمال الصالحات، وبين ما كرهه ونهى عنه، وأبغضه من الكفر، والفسوق العصيان مع شمول قدرته، ومشيتته، وخلقه لكل شيء، وإلا وقع في دين المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾، والقدر يؤمن به ولا يحتج به، بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، ويستغفر الله عند الذنوب، والمعائب، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لأجل المصيبة التي حصلت لهم بأكله من الشجرة، فذكر له آدم أن هذا كان مكتوباً قبل أن أخلق، فحج آدم موسى، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾.

قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

فهذا وجه احتجاج آدم بالقدر، ومعاذ الله أن يحتج آدم أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك، ويحتج به قوم نوح، وعاد، وثمود، وسائر أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ولم يعاقب ربنا أحداً، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعاً، وعقلاً، فإنَّ هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء، فإن طرده يوجب أن لا يلام أحد على شيء، ولا يعاقب عليه.

وهذا المحتج بالقدر لو جنا عليه جان لطالبه، فإن كان القدر حجة فهو حجة للجاني عليه، وإلا فليس حجة لا لهذا، ولا لهذا، ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولاً لم يمكن للناس أن يعيشوا، إذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بذلك فيقبلوا عذره، ولا يعاقبوه ولا يمكن اثنين من أهل هذا القول أن يعيشا، إذ لكل منهما أن يقتل الآخر، ويفسد جميع أموره محتجاً على ذلك بالقدر، ثم إن أولئك المبتدعين الذين أدخلوا في التوحيد نفي الصفات، وهؤلاء الذين أخرجوا عنه متابعة الأمر إذا حققوا القولين أفضى بهم الأمر إلى أن لا يفرقوا بين الخالق والمخلوق، بل يقولون بوحدة الوجود، كما قاله أهل الإلحاد القائلين بالوحدة والحلول، والاتحاد الذين يعظمون الأصنام وعابديها، وفرعون، وهامان، وقومهما، ويجعلون وجود خالق الأرض والسماوات هو وجود كل شيء من الموجودات، ويدعون التوحيد والتحقيق والعرفان، وهم من أعظم أهل الشرك والتلبس والبهتان.

يقول عارفهم السالك في أول أمره يفرق بين الطاعة والمعصية، أي: نظراً إلى الأمر ثم يرى طاعة بلا معصية أي نظراً إلى القدر، ثم لا طاعة، ولا معصية، أي: نظراً إلى أن الوجود واحد» اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [مدارك السالكين] (١/١٥٣-١٥٨):

«فصل: إذا عرفت مراد القوم بالفناء فنذكر أقسامه ومراتبه وممدوحة، ومذمومة، ومتوسطة.

فاعلم أنَّ الفناء مصدر فني فناء إذا اضمحل، وتلاشى، وعدم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه، كما قال الفقهاء لا يقتل في المعركة شيخ فان.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي هالك ذاهب، ولكن القوم اصطلاحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبة عن شهود الكائنات.

وهذا الاسم يطلق على ثلاثة معان: الفناء عن وجود السوى، والفناء عن شهود السوى، والفناء عن إرادة السوى.

فأما الفناء عن وجود السوى: فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غير وأنَّ غاية العارفين، والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة، ونفى التكثر، والتعدد عن الوجود بكل اعتبار فلا يشهد غيراً أصلاً، بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب، بل ليس عندهم في الحقيقة رب وعبد.

وفناء هذه الطائفة في شهود الوجود كله واحد، وهو الواجب بنفسه ما ثم وجودان، ممكن وواجب، ولا يفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله، وبين كون وجودها هو عين وجوده، وليس عندهم فرقان بين العالمين، ورب العالمين، ويجعلون الأمر، والنهي للمحجوبين عن شهودهم، وفنائهم والأمر والنهي تلييس عندهم، والمحجوب عندهم يشهد أفعاله طاعات، أو معاص ما دام في مقام الفرق، فإذا ارتفعت درجته شهد أفعاله كلها طاعات لا معصية فيها لشهوده الحقيقة الكونية الشاملة لكل موجود، فإذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة، ولا معصية، بل ارتفعت الطاعات، والمعاصي لأنها تستلزم اثنيية، وتعددًا، وتستلزم مطيعاً، ومطاعاً، وعاصياً، ومعصياً، وهذا عندهم محض الشرك، والتوحيد المحض ياباه فهذا فناء هذه الطائفة.

وأما الفناء عن شهود سوى: فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين، ويعدونه غاية، وهو الذي بنا عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه.

وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم، وحسهم فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده، بل غيبته أيضاً عن شهوده، ونفسه لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبموجوده عن وجوده، وبمحبوبه عن حبه، وبمشهوده عن شهوده.

وقد يسمى حال مثل هذا سكرًا، واصطلامًا، ومحوًا، وجمعًا، وقد يفرقون بين معاني هذا الأسماء، وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه، ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به، وامتزج، بل يظن أنه هو نفسه، كما يحكى أن رجلاً ألقى محبوبه نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه وراءه، فقال له: مال الذي أوقعك في الماء، فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني.

وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطاً في ذلك، وأن الحقائق متميزة في ذاتها، فالرب رب، والعبد عبد، والخالق بائن عن المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، ولكن في حال السكر والمحو، والاصطلام، والفناء قد يغيب عن هذا التمييز وفي هذه الحال قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً، ولكن مع سقوط التمييز، والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذه.

وهذا الفناء يحمد منه شيء ويدم منه شيء ويعفى منه عن شيء

فيحمد منه فناؤه عن حب ما سوى الله، وعن خوفه، ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والالتفات إليه بحيث يبقى دين العبد ظاهراً، وباطناً كله لله.

وأما عدم الشعور، والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه، وغيره، ولا بين الرب، والعبد مع اعتقاده الفرق، ولا بين شهوده، ومشهوده، بل لا يرى سوى، ولا الغير، فهذا ليس بمحمود، ولا هو وصف كمال، ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به، بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لعجزه، وضعف قلبه، وعقله عن احتمال التمييز، والفرقان، وإنزال كل ذي منزلة منزلته، موافقة لداعي العلم، ومقتضى الحكمة، وشهود الحقائق على ما هي عليه، والتمييز بين القديم، والمحدث، والعبادة، والمعبود فينزل العبادة منازلها، ويشهد مراتبها ويعطي كل مرتبة منها حقها من العبودية، ويشهد قيامه بها، فإنَّ شهود العبد قيامه بالعبودية أكمل في العبودية من غيبته عن ذلك، فإنَّ أداء العبودية في حال غيبة العبد عنها وعن نفسه بمنزلة أداء السكران، والنائم، وأداؤها في حال كمال يقظته، وشعوره بتفاصيلها وقيامه بها أتم وأكمل وأقوى عبودية.

فتأمل حال عبيدين في خدمة سيدهما أحدهما يؤدي حقوق خدمته في حال غيبته عن نفسه وعن خدمته لاستغراقه بمشاهدة سيده، والآخر يؤديها في حال كمال حضوره، وتمييزه، وإشعار نفسه بخدمة السيد، وابتهاجاً بذلك فرحاً بخدمته، وسروراً، والتذاذاً منه، واستحضاراً لتفاصيل الخدمة، ومنازلها، وهو مع ذلك عامل على مراد سيده منه، لا على مراده من سيده فأَي العبيدين أكمل.

فالفناء حظ الفاني ومراده، والعلم، والشعور، والتمييز، والفرق، وتنزيل الأشياء منازلها، وجعلها في مراتبها حق الرب، ومراده، ولا يستوي صاحب هذه العبودية وصاحب تلك.

نعم هذا أكمل حالاً من الذي لا حضور له، ولا مشاهدة بالمرة، بل هو غائب بطبعه، ونفسه عن معبوده، وعن عبادته، وصاحب التمييز، والفرقان، وهو صاحب الفناء الثالث أكمل منهما، فزوال العقل، والتمييز، والغيبة عن شهود نفسه، وأفعالها لا يحمد فضلاً عن أن يكون في أعلى مراتب الكمال، بل يذم إذا تسبب إليه، وباشر أسبابه، وأعرض عن الأسباب التي توجب له التمييز، والعقل، ويعذر إذا ورد عليه ذلك بلا استدعاء، بأن كان مغلوباً عليه، كما يعذر النائم، والمغمى عليه، والمجنون، والسكران الذي لا يذم على سكره كالموَجِر، والجاهل بكون الشراب مسكراً، ونحوهما.

وليس أيضاً هذه الحال بلازمة لجميع السالكين، بل هي عارضة لبعضهم، منهم من يتلى بها كأبي يزيد، وأمثاله، ومنهم من لا يتلى بها، وهم أكمل، وأقوى، فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم، وهم سادات العارفين، وأئمة الواصلين المقربين، وقدوة السالكين لم يكن منهم من ابتلى بذلك مع قوة إرادتهم، وكثرة منازلهم، ومعاينة ما لم يعاينه غيرهم، ولا شم له رائحة، ولم يخطر على قلبه، فلو كان هذا الفناء كمالاً لكانوا هم أحق به، وأهله، وكان لهم منه ما لم يكن لغيرهم.

ولا كان هذا أيضاً لبنينا، ولا حالاً من أحواله، ولهذا في ليلة المعراج لما أسرى به، وعانين ما عانين مما أراه الله إياه من آياته الكبرى لم تعرض له هذه الحال، بل كان كما وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ وقال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسرى به، ومع هذا فأصبح بينهم لم يتغير عليه حاله، ولم يعرض له صعق، ولا غشي، يخبرهم عن تفصيل ما رأى، غير فان عن نفسه، ولا عن شهوده، ولهذا كانت حاله أكمل من حال موسى ابن عمران لما خر صعقاً حين تجلى ربه للجبل وجعله دكاً اهـ.

قلت: وقد جرَّ هذا الفناء أصحابه إلى فناء أهل وحدة الوجود.

وتأمل في ازدرائه بمقام العبودية الذي هو أصل المقامات وأشرفها حيث قال: «وإذا صفى العبد من سواد العبودية». هكذا يصف هذا المقام العظيم بالسواد، وهو المقام الذي من أجله خلق الله عز وجل الخلق كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقد وصف الله عز وجل نبيه بالعبودية في أشرف المقامات، وهي مقام التحدي، ومقام الإسرائاء، ومقام الدعوة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في [روضة المحيين] ص (٥٣): «وقد ذكر الله سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته، وهي مقام التحدي، ومقام الإسرائاء، ومقام الدعوة، فقال في التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، وقال في مقام الإسرائاء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وقال في مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، وإذا تدافع أولو العزم الشفاعة الكبرى يوم القيامة يقول المسيح لهم: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فنال ذلك المقام بكمال العبودية لله، وكمال مغفرة الله له، فأشرف صفات العبد صفة العبودية، وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث، وهمام، وأقبحها حرب، ومرة"، وإنما كان حارث، وهمام أصدقها لأنَّ كل أحد لا بد له من هم، وإرادة، وعزم ينشأ عنه حرثه، وفعله، وكل أحد حارث، وهمام، وإنما كان أقبحها حرب، ومرة لما في مسمى هذين الاسمين من الكراهة، ونفور العقل عنهما، وبالله التوفيق» اهـ.

وقال رحمه الله في [مدارك السالكين] (١/ ١٠٢-١٠٣): «فصل: والله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه وأقربهم إليه فقال:

﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ، وهذا يبين أن الوقف التام في قوله في سورة الأنبياء ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هاهنا ثم يتدنى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فهما جملتان تامتان مستقلتان أي: إنَّ له من في السموات ومن في الأرض عبيداً، وملكاً، ثم استأنف جملة أخرى، فقال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ، يعني أنَّ الملائكة الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته، يعني لا يأنفون عنها، ولا يتعاضمون، ولا يستحسرون فيعيون، وينقطعون، يقال: حسر، واستحسر، أي إذا تعب، وأعيا، بل عبادتهم، وتسيحهم كالنفس لبني آدم، فالأول وصف لعبيد ربوبيته، والثاني وصف لعبيد إلهيته وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إلى آخر السورة وقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ، وقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ ، وقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ ، وقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ، وقال عن سليمان: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ، وقال عن المسيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ ، فجعل غايته العبودية لا الإلهية كما يقول أعداؤه النصراني، ووصف أكرم خلقه عليه وأعلاهم عنده منزلة بالعبودية في أشرف مقاماته فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ ، وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ ، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ ، فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه، وفي مقام التحدي بأن يأتوا بمثله، وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ

يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَيْدًا ﴿١٧﴾ ، فذكره بالعبودية في مقام الدعوة إليه، وقال سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً فذكره بالعبودية في مقام الإسراء وفي الصحيح عنه أنه قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"، وفي الحديث: "أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد"، وفي صحيح البخاري عن

عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة محمد: "محمد رسول الله عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر"

وجعل الله سبحانه البشارة المطلقة لعباده فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ، وجعل الأمن المطلق لهم فقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ، وعزل الشيطان عن سلطانه عليهم خاصة، وجعل سلطانه على من تولاه وأشرك به، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ، وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّهَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم إحسان العبودية أعلى مراتب الدين، وهو الإحسان فقال في حديث جبريل وقد سأله عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" اهـ.

❖ إنكاره لصفة اليدين لله سبحانه:

ووقفت له على كتاب سماه "التوحيد" فيه ضلال بعيد لا يستفيد منه الذكي ولا يحتاجه البليد أنكر فيه صفة اليدين لله سبحانه وتعالى فقال ص (٢٩):

«تعطي الدنيا من تشاء وتعطي الآخرة من تشاء أشرت بذلك إلى كثرة الإنفاق وقسمت الأرزاق ومن نعمك نعمك السالفة في الدارين تعاليت أن توصف بيدين ذواتي كفين وعضدين علواً كبيراً» اهـ.

وقد قال مثل هذا الكلام في كتابه "التسييح" ص (٢).

فتأمل إلى هذا الكلام المناقض للكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن حقيقة نفي صفة اليدين اللتين اتصف بهما الله عز وجل وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

قلت: وأمّا الكف فقد جاء فيه ما رواه مسلم (١٠١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَزْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ».

قلت: وأمّا العضدان فلم يأت في إثباتهما ولا نفيهما كتاب ولا سنة.

❦ إنكاره لصفتي الساق والقدم لله سبحانه:

وقفت له على كتاب "التسييح" خالي من التحقيق والتنقيح قد جمع فيه كل قبيح يذكر الله فيه بأدعية وأذكار لا أصل لها في السنة ولا الآثار.
وقد أنكر في كتابه هذا صفتي الساق والقدم لله سبحانه وتعالى متابعا لأهل البدع مخالفاً للكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة فقال ص (٤):

«سبحانك قائم أنت لا على ساق وقدام».

قلت: قد دل على إثبات صفة الساق لله سبحانه وتعالى الكتاب والسنة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾
وأخرج البخاري في صحيحه (٤٩١٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لَيْسَ جَدًّا، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا».
وأخرجه مسلم (٣ / ٢٥ - ٣٣) مطولاً.

وأما إثبات القدم لله سبحانه فقد دل على ذلك ما أخرجه البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ ...»
الحديث وهذا لفظ البخاري وقد جاء الحديث عن غير أنس من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

❁ إنكاره لصفة النزول لله سبحانه:

وقد أنكر في كتابه "التسييح" صفة النزول لله سبحانه وتعالى فقال ص (٣١):

«لا بالصعود ولا بالنزول» اهـ.

قلت: قد دلت الأدلة المتكاثرة أن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة فيقول:

«مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

قال العلامة ابن القيم رحمه الله كما في [مختصر الصواعق] ص (٥٨٠):

«إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صلى عليه

وسلم رواه عنه نحو ثمانية وعشرون نفساً من الصحابة» اهـ.

﴿ تقربه إلى اسم الله واسم رسوله ﷺ ﴾:

ومن جملة ضلالاته في كتابه "التوحيد" قوله فيه ص (٧١):

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اسْمِكَ الْمَقْدَسِ الْأَعْلَى» اهـ.

قلت: التقرب بأنواع القرب لا يكون لأسماء الله سبحانه وإنَّما لله سبحانه وتعالى.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [بدائع الفوائد] (١/١٨): «ثم إن الأمة كلهم لا يجوز أحد منهم أن يقول عبادت اسم الله ربي ولا سجدة لاسم الله ربي ولا ركعت لاسم الله ربي ولا باسم ربي ارحمني وهذا يدل على أن الأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم» اهـ.

قلت: وأشنع من هذا وأخنع تقربه إلى اسم النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال بعد ذلك بأسطر:

«وأَتَقَرَّبُ إِلَى اسْمِ أَحْمَدَ» يعني: النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت: أجمع المسلمون على أن التقرب لا يكون إلا لله سبحانه ومن تقرب إلى غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة وهذا مما علم من الدين بالضرورة فلا يحتاج في تقريره إلى سرد حديث أو سورة.

❁ سؤاله لربه بمخلوقاته:

ووقفت له على كتاب اسمه "الصلوات المباركة" يسأل الله فيه بمخلوقاته فقال ص (٤):

«اللهم إني أسألك بأول عين أبديت لأول وجه أبديت لأول عين
أبدت فنظرت إليها بنورك الرحيم ... » اهـ.

قلت: سؤال الله بمخلوقاته من البدع المنكرة التي ما أنزل الله بها من سلطان وإنما يسأل الله بأسمائه وصفاته ومما دل الشرع عليه كما هو مدون في كتب أهل العلم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في [مجموع الفتاوى] (١/ ٢٩٠): «ومعلوم أن سؤال الله بهذه المخلوقات أو الإقسام عليه بها من أعظم البدع المنكرة في دين الإسلام ومما يظهر قبحه للخاص والعام» اهـ.

❖ إثباته لعقيدة الصوفية في الأقطاب، والأوتاد، والأبدال.

فقد قال في كتابه [ديوان الفتوح] ص (٣٤٨):

«فدل على أن كل عالم يحتاج إلى من فوقه، بدا، أو خفى. فينبغي أن يكون مفتقراً إليه وإن لم يعرفه، كافتقار الأوتاد إلى القطب، وافتقار الأبدال إلى الأوتاد، وافتقار الصالحين إلى الأبدال، وافتقار الجهال إلى الصالحين. فينبغي لكل سالك أن يأتى بهؤلاء، ويحسن الظن بهم» اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١ / ٤٣٣):

«أما الأسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامّة مثل "الغوث" الذي بمكة و"الأوتاد الأربعة" و"الأقطاب السبعة" و"الأبدال الأربعين" و"النجباء الثلاثمائة": فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى؛ ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ولا ضعيف» اهـ.

وقال رحمه الله (١١ / ٤٣٧-٤٣٩):

«فأما لفظ "الغوث والغيث" فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل. ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر- عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾. فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب؟ وهو القائل تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وقال إبراهيم عليه السلام داعياً لأهل مكة: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

وقال النبي عليه السلام لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر: "أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً؛ إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته".

وهذا باب واسع. وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم لا ظاهراً ولا باطناً بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالخلق من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علواً كبيراً وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلّا به ثم مع هذا يقولون إنه كان صبيّاً دخل السرداب من أكثر من أربعمئة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر. وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه؛ بل هذا الترتيب والأعداد تشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما نزل الله به من سلطان» اهـ.

وقال رحمه الله (٢٧ / ٩٦-٩٧):

«وَأَمَّا سؤَالُ السَّائِلِ عَنْ "الْقُطْبِ الْغَوْثِ الْفَرْدِ الْجَامِعِ". فَعَلَى مَا يَقُولُهُ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ وَيُفَسِّرُونَهُ بِأُمُورٍ بَاطِلَةٍ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ: مِثْلُ تَفْسِيرِ بَعْضِهِمْ: أَنَّ "الْغَوْثَ" هُوَ الَّذِي يَكُونُ

مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيثان البحر بواسطته. فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في علي رضي الله عنه. وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل؛ فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر. يكون إمداد الخلائق بواسطته ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في "العقول العشرة" الذين يزعمون أنها الملائكة وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين.

وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يسمونهم "النجباء" فينتقى منهم سبعون هم "النقباء" ومنهم أربعون هم "الأبدال" ومنهم سبعة هم "الأقطاب" ومنهم أربعة هم "الأوتاد" ومنهم واحد هو "الغوث" وأنه مقيم بمكة وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وأولئك يفزعون إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الواحد. وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب؛ فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره - على قول من يقول منهم: إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضراً فإن لهم في ذلك قولين وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم. ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - رضي الله عنهم - كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة اهـ.

❖ تفسيره لرؤية الله في الآخرة بالمعرفة:

فقد قال في كتابه [ديوان الفتوح] ص (٤٣٣):

«فصل في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

طوبى للعارف:

- عاش عارفاً، فما أحسنه عيشاً.
- ومات عارفاً، فما أيسره نزاعاً.
- وثوى في البرزخ عارفاً، فما أكرمه مثوى.
- وبعث عارفاً، فما أشده فرحاً.
- وحشر عارفاً، فما أعظمه سروراً.
- ووقف عارفاً، فما أشرفه موقفاً...» اهـ.

قلت: إنكار رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم وتفسير ذلك بالمعرفة أو العلم مذهب الجهمية والمعتزلة وهو مخالف لأدلة الكتاب والسنة ولإجماع علماء الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٦ / ٤٨٦):

«والذي عليه جمهور "السلف" أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر؛ فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة قد دون العلماء فيها "كتباً" مثل: "كتاب الرؤية" للدارقطني، ولأبي نعيم، وللأجري؛ وذكرها المصنفون في السنة كابن بطة واللالكائي وابن شاهين وقبلهم عبد الله بن أحمد بن حنبل وحنبل بن إسحاق والخلال والطبراني وغيرهم. وخرجها أصحاب الصحيح والمساند والسنن وغيرهم» اهـ.

❁ دفاعه عن الحلاج الملحد:

فقد قال في كتابه [ديوان الفتوح] ص (٤٧٢-٤٨٠):

«دلالة المحب الصديق، على الحبيب الصديق، على أقرب طريق، إلى معرفة الشفيق الرفيق،
[تشتمل على ذكر الحلاج رحمة الله عليه]:

اعلم أنَّ لطيف المعرفة قلب خاضع، تحت نور ساطع، أيقن بعقله، ورؤيته: أنَّ الله بحوله
وقوته، يحول بينه وبين همته.

فصار بحوله يحول، وبقوته يثبت ويزول، وفي ميدان سر نظره يسكن ويجول، وبلسان حاله ما
قوله عنه يقول، لا ينطق عن الهوى ولا يتعلق بالفضول.

أشبه الأشياء ذلك عند الحكماء، وقوع شعاع الشمس من جو السماء، في المشكاة النافذة على
صفو الماء في الإناء، فتسطع جوهريته على الفناء، ويشرق البيت للألاء ذلك السنا، وبلسان
حال ذلك النور قال الحلاج: أنا.

وعندنا الحجة على الجاهلين بالمحجة.

وذلك أنَّه لما سطع هذا النور الوهاج، بغير مقدار على مشكاة الحلاج، صحبته نار سطوة
كسرت الزجاج وأخرجت منه نزهة المزاج، وملأت من علمه السبل الفجاج.

فحيثئذ اضطرب بحر الاستهلاك وهاج، وسقط قائم التمييز والاحتجاج، وغرق برهان رؤية
المنهاج، في غمر عباب تلك الأمواج، ومشى في ظلم المحو على غير سراج.

فقال وقد خبل الوجود عقله، مسقطاً لشهود كل علة سوى الله: أنا الله.

غير مشير إلى ذاته الجسدانية، ولا إلى نفسه الروحانية، بل أشار بصفة فانية إلى صفة ربانية، لم
ير بالعين النورانية لأحدثتها في الوجود ثانية.

فنطق بقوة رحمانية، وسكر حقيقة إيمانية، لا بالفرعونية الشيطانية، ولا بالنمرودية الكنعانية، بل بسقوط صفته الإنسانية، وتعلقه بصفة صمدانية.

فلما برق تعقله بارقها، وفتق رتق سماواته وأرضه فاتقها، نطق على لسانه عند ذلك ناطقها. وفي ذلك نقول، اعتذاراً عند أرباب العقول:

محتني يد الرحمن عن حرف صورتي

وغيني عني فلم أر إلا هو

وقال أنا الله استجب لعبارتي

فقال صداي المستجيب أنا الله

فشق الأنا الجاري على لطفه أنا

وعوضني باسم الإله مسماه

وصير قطعي وصلة، وإهانتني

علواً، وصلبي ما أُلذي بمحياه

وصير تحريقي وذروي إشارة

إلى من أحب الله حقق دعواه

فكل قتيل للهوى هو صاحبي

وكل شهيد بالقضا أنا إياه

لساني إذا روى سببي

وشربي للدواء عطبي

شربت حساً فهمت به

فقطعني ومثل بي

فقلت حبيبي تقتلني

وما ألّمت بالريب

وتقطعني وتصلبني

بلا جرم على الخشب

وعن كل الوري قد تبت

إلا عنك لم أتب

فيا نسبي بلا نسبي

ويا حسبي بلا حسبي

إليك فررت من نفسي

ومن أهلي ومن نسبي

ومن ولدي ووالدي

ومن جدي معاً وأبي

فإن أرضاك سفك دمي

وقطع الإرب بالقُضْب

وتحريقي وذارية

ذرت شلوى بلا سبب

فما ترضى رضيت به

فليس الجحد كاللعب

ولا جرم وإيم الله أن من أحب الله، كان سمعه الله، وبصره الله، ويده الله، وقدمه الله، كما

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فابسطوا قلوبكم بالإخبات، واجمعوا خواطركم الأشتات، وكونوا أحياء كالأموات، لعل النور يسطع بالمشكاة، فتشرق بالألأئه منكم الأبيات، وتصمت الألسن وتخشع الأصوات، وتشتمل بركه على الحواس والآلات، فتشتغل عن المعاصي بالطاعات. واغتنموا فرض الأوقات، وانتقلوا عن الصلوات إلى حقيقة الصلاة.

وإياكم والغفلات عن التفكير بالآيات، تتجلى لكم الصفات من حجب المصافات،

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾

وما فات من العمر ليس بعائد إلى الحياة.

إنَّ أقرب ما تقرب به المتقربون، وتأدب به المتأدبون كلام الله المطهر المصون، المذهب المكنون، فاتلوه تلاوة أولي الألباب، لتفتح لكم الأبواب، ويرحمكم رب الأرباب، إنه الكريم الوهاب.

نفعنا الله جميعاً بما علمنا، ورزقنا العمل به، إنه قريب مجيب أمين» اهـ.

قلت: هذا تبرير من ابن علوان لكفريات الحلاج وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢ / ٤٨٠ - ٤٨٧):

«ما تقول أئمة الإسلام في الحلاج؟ وفيمن قال: أنا أعتقد ما يعتقد الحلاج ماذا يجب عليه؟ ويقول: إنه قتل ظلماً كما قتل بعض الأنبياء؟ ويقول: الحلاج من أولياء الله فماذا يجب عليه بهذا الكلام وهل قتل بسيف الشريعة؟

فأجاب:

الحمد لله، من اعتقد ما يعتقد الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين؛ فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد كقوله: أنا الله. وقوله: إله في السماء وإله في الأرض. وقد علم بالاضطرار

من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله وأن الله خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق ﴿وَإِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الآيات وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآيتين. فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله: كان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح ابن مريم فمن قال بالحلول والاتحاد في غير المسيح - كما تقوله الغالية في علي وكما تقوله الحلاجية في الحلاج والحاكمية في الحاكم وأمثال هؤلاء - فقولهم شر من قول النصارى لأن المسيح ابن مريم أفضل من هؤلاء كلهم. وهؤلاء من جنس أتباع الدجال الذي يدعي الإلهية ليتبع مع أن الدجال يقول للسماء أمطري فتمطر وللأرض أنبتي فتنبت: وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة ويقتل رجلاً مؤمناً ثم يأمر به فيقوم ومع هذا فهو الأعور الكذاب الدجال فمن ادعى الإلهية بدون هذه الخوارق: كان دون هذا الدجال. والحلاج: كانت له مخاريق وأنواع من السحر وله كتب منسوبة إليه في السحر. وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به وأن البشر يكون إلهاً وهذا من الآلهة: فهو كافر مباح الدم وعلى هذا قتل الحلاج. ومن قال: إن الله نطق على لسان الحلاج وأن الكلام المسموع من الحلاج كان كلام الله وكان الله هو القائل على لسانه: أنا الله فهو كافر باتفاق المسلمين؛ فإن الله لا يحل في البشر ولا تكلم على لسان بشر ولكن يرسل الرسل بكلامه فيقولون عليه ما أمرهم ببلاغه فيقول على السنة الرسل ما أمرهم.

إلى أن قال رحمه الله: «وما يحكى عن الحلاج من ظهور كرامات له عند قتله مثل كتابة دمه على الأرض: الله الله وإظهار الفرح بالقتل أو نحو ذلك: فكله كذب. فقد جمع المسلمون

أخبار الحلاج في مواضع كثيرة كما ذكر ثابت بن سنان في أخبار الخلفاء - وقد شهد مقتله - وكما ذكر - إسماعيل بن علي الحطفي في تاريخ بغداد - وقد شهد قتله - وكما ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه وكما ذكر القاضي أبو يعلى في المعتمد وكما ذكر القاضي أبو بكر بن الطيب وأبو محمد بن حزم وغيرهم وكما ذكر أبو يوسف القزويني وأبو الفرج بن الجوزي؛ فيما جمعا من أخباره. وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية: إن أكثر المشايخ أخرجوه عن الطريق ولم يذكره أبو القاسم القشيري في رسالته من المشايخ؛ الذين عدّهم من مشايخ الطريق. وما نعلم أحداً من أئمة المسلمين ذكر الحلاج بخير لا من العلماء ولا من المشايخ؛ ولكن بعض الناس يقف فيه؛ لأنه لم يعرف أمره وأبلغ من يحسن به الظن يقول: إنه وجب قتله في الظاهر فالقاتل مجاهد والمقتول شهيد وهذا أيضاً خطأ. وقول القائل: إنه قتل ظلماً قول باطل فإن وجوب قتله على ما أظهره من الإلحاد أمر واجب باتفاق المسلمين».

إلى أن قال رحمه الله: «وأما كونه إنما كان يتكلم بهذا عند الاصطلام فليس كذلك؛ بل كان يصنف الكتب ويقولوه وهو حاضر ويقظان» اهـ.

وسئل عنه أيضاً فأجاب كما في [مجموع الفتاوى] (٣٥ / ١٠٨ - ١٠٩):

«الحمد لله رب العالمين، الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه بإقراره وبغير إقراره؛ والأمر الذي ثبت عليه بما يوجب القتل باتفاق المسلمين. ومن قال إنه قتل بغير حق فهو إما منافق ملحد وإما جاهل ضال. والذي قتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر وبعضه يوجب قتله؛ فضلاً عن جميعه. ولم يكن من أولياء الله المتقين؛ بل كان له عبادات ورياضات ومجاهدات: بعضها شيطاني وبعضها نفساني وبعضها موافق للشريعة من وجه دون وجه. فلبس الحق بالباطل. وكان قد ذهب إلى بلاد الهند وتعلم أنواعاً من السحر وصنف كتاباً في

السحر معروفاً وهو موجود إلى اليوم وكان له أقوال شيطانية ومخاريق بهتانية. وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة أرخوها؛ الذين كانوا في زمنه والذين نقلوا عنهم مثل أبي علي الحطبي ذكره في "تاريخ بغداد" والحافظ أبو بكر الخطيب ذكر له ترجمة كبيرة في "تاريخ بغداد" وأبو يوسف القزويني صنف مجلداً في أخباره وأبو الفرج بن الجوزي له فيه مصنف سماه "رفع اللجاج في أخبار الحلاج". وبسط ذكره في تاريخه أبو عبد الرحمن السلمي في "طبقات الصوفية" أن كثيراً من المشايخ ذموا وأنكروا عليه ولم يعدوه من مشايخ الطريق؛ وأكثرهم حط عليه. ومن ذمه وحط عليه أبو القاسم الجنيد؛ ولم يقتل في حياة الجنيد؛ بل قتل بعد موت الجنيد؛ فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين. والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة وقدموا به إلى بغداد راكباً على جمل ينادى عليه: هذا داعي القرامطة وأقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه الكفر والزندقة واعترف به: مثل أنه ذكر في كتاب له: من فاته الحج فإنه يبني في داره بيتاً يطوف به كما يطوف بالبيت ويتصدق على ثلاثين يتيماً بصدقة ذكرها وقد أجزأه ذلك عن الحج. فقالوا له: أنت قلت هذا؟ قال نعم. فقالوا له: من أين لك هذا؟ قال ذكره الحسن البصري في "كتاب الصلاة" فقال له القاضي أبو عمر: تكذب يا زنديق أنا قرأت هذا الكتاب وليس هذا فيه فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوه ويفتوا بما يجب عليه فاتفقوا على وجوب قتله اهـ.

وقال العلامة الذهبي رحمه الله في [سير أعلام النبلاء] (٢٧ / ٣٥٤):

«وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبته إلى الحلول، ومنهم من نسبته إلى الزندقة، وإلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال. نسأل الله العصمة في الدين» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في [لسان الميزان] (٣ / ٢١١):

«وأخبار الحلاج كثيرة والناس مختلفون فيه وأكثرهم على أنه زنديق جوال قلت وهذه نبذة من كلام أهل العلم فيه قال محمد بن يحيى الرازي: سمعت عمرو بن يحيى المكي يلعن الحلاج ويقول لو قدرت عليه أقتله بيدي. قلت أيش الذي وجد الشيخ عليه قال قرأت آية من كتاب الله فقال يمكنني أن أولف مثله أو أتكلم به حكاها القشيري في الرسالة. وقال أبو بكر بن ممشاذ: حضر- عندنا بالمدينة رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد قال فأحضر- وعرض عليه فقال هذا خطي وأنا كتبته. فقالوا له كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية فقال ما ادعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع هل الفاعل إلا الله وأنا واليد آلة فقل هل معك أحد قال نعم أبو العباس بن عطاء وأبو محمد الجريري وأبو بكر الشبلي فأحضر- الجريري فسئل فقال هذا كافر يقتل وسئل الشبلي فقال من يقول هذا يمنع وسئل بن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته فكان سبب قتله» اهـ.

❁ التقرب إلى الله بالرقص والتصفيق في المساجد:

قلت: ومما يدل على ضلاله وانحرافه أنه دخل ذات مرة مسجد "جباً" مع جمع من الناس معهم الدفوف والشبابات فتراقصوا فيه وتواجدوا فأنكروا عليه فقهاء بني إسحاق وأخرجوه من المسجد، فأنشأ قصيدة يرد عليهم قال في مطلعها رافعاً لنفسه فوق قدرها.

من أحمد القبس الهادي لمن صحبا إلى سجية من فاق الوري حسبا
محمد علم الأنوار وأقربها من المهيمن أعلاها إذا انتسبا
وكان مما قال فيها:

أنكرت الرقص والتصفيق وهو كذا عند المشايخ إلا رقص من غلبا
غالب الوجد حق في معارفنا لا تستقر له الأعضاء إن وثبا
فرد على قصيدته الفقيه علي المقصري السرددي بقصيدة قال في مطلعها
أتت ألوكة غمر تحت أضلعه غمر لمن حاز فقهاً أو حوى أدبا
قد جاء عن سنة الرشد التي وضحت وتاه في مجهل للجهل فيه وبا
وقال قولاً وذا جهل يقابله إني أنا القبس الهادي لمن صحبا
وكيف يهدي أخا الأبصار ذو كمة ما الجهبذي يخال الدر مخشلبا
تالله يسأل عن علم بحادثة فلن يجيب وعندي من تمام نبا
وكان مما قاله في قصيدته :

ذم ابن علوان أهل العلم أجمعهم وقال فيهم مقالاً كل ذاك هبا
وعنده الدرس والتدريس منقصة والرقص والزمر أعلى عنده رتبا
رمى فابدى لرامية مقاتلة شنت عليه القوافي ويله سربا
مخالف لكتاب الله نابذه وراء ظهر به الشيطان قد لعبا

وسنه المصطفى البيضاء تاركها شمر ثيابك عنه ممعنا هربا
إلى أن قال رحمه الله:

وأصلت رقصاً وزمراً في مساجدنا وقد جمعت بها من جهلك الكتب
ورفع صوت بها جوزت من لعب والله حرم فيها اللهو واللعبا
انظر لذلك [هجر العلم ومعاقله في اليمن] للأكوع.
قلت: وقد وقفت له من هذه الكتب كتاب "إجازة في السماع"
وكان مما قال فيه ص (٤٩):

«أتذكرون ما لا عليه تقدرون "كلا سوف تعلمون" أتذكرون الحق المبين الجسيم، أفلا يتوبون
إلى الله ويستغفرون والله غفور رحيم، إن القوم الكرام أهل التصوف والإكرام، والأفهام
يزعقون، ويصعقون، ويصرخون ويفرحون ويستبشرون بما يرون ويسمعون من مفاجأة
مشاهدة المشهور، الموجود بنظر اليقين بالوجود الذي أنتم عنه جمود .
غافلون لا تجدون ولا تسمعون ولا له تشهدون أتذكرون الصعق والزعق "وما الله بغافل عما
تعملون" اهـ.

قلت: وسائر كتابه ملئ بمثل هذا الهذيان.

وقال في كتابه [ديوان الفتوح] ص (٤٤٤):

« لما تعلق الأشواق من كبدي بالجانيين بريح الصوت والكلم
مادت سفينة قلبي في بحارهم فقامت أرعد من رأسي إلى قدمي
كيف القرار وبحر الشوق ملتطم هل للسفينة مرسى فوق مرتطم
دعني أكابد ما ألقاه وابك معي بحسن ظنك لا تعذل ولا تلم
لعل ليلك يسري فيه بارقهم ويسق أرضك منهم واكف الديم

يا منكرًا حركات كلها كرم إن الأكارم لا تنهى عن الكرم
 هذا السماع وإخوان الصفاء معاً ذكر المهيمن فيهم ملء كل فم
 خذ السماع بذكر الله عندهم وكل إلى الله أمر الصدق والتهم
 فإن واحدهم كالألف محتمل هذا وذاك وكل غير متهم .

وقال ص (٤٤٦):

« ما حمل الأثقال من حبه إلا قريب السر من قربه
 ولا بكى إلا على نفسه ولا شكا إلا إلى قلبه
 تعلقت منه القوى في الهوى فدار محبوراً على قطبه
 فشربه يعجب من سكره وسكره يعجب من شربه
 فكيف لا يعذر من لاهمه بخفضه في الرقص أو نصبه
 لا تحسبوا سكرانهم صاحباً ما حسبكم يخبر عن حسبه
 أنتم مع الإنكار في غفلة وهو مع الألفاف من ربه
 لا تحملوا هذا بدعة واستغفروا الرحمن من عيبه
 من لم يقم بالصدق يكفي به مقت من الله على كذبه
 فأحسنوا الظن بإخوانكم ما أطلع الله على غيبه .

وقال ص (٤٤٨):

« لمثل هذا نظرب وأنت منا تعجب
 أسرارنا في سكرة وأنت صاح تلعب
 وشربنا من خمرة ما أنت منها تشرب
 ما دمت تدعي منكرًا فأنت عنه تحجب

فصلٌ واسجد واقترب عساك منها تشرب .

وله غير ذلك في هذا الكتاب اكتفيت بذكر بعضها.

وما أشاد به في كتابه هذا وغيره من الصفق والرقص فبدعة ما أنزل الله بها من سلطان وإنما هي من وحي الشيطان أغوى به من سار على نهجه من الصوفية العميان.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه كما في [مجموع الفتاوى] (١١ / ٥٩٩):

«وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله في كتابه ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ وقال في كتابه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي بسكينه ووقار.

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود؛ بل الدف والرقص في الطابق لم يأمر الله به ولا رسوله؛ ولا أحد من سلف الأمة فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقاً فهو مبتدع ضال؛ من جنس خفراء العدو؛ وأعوان الظلمة من ذوي الأحوال الفاسدة الذين ضارعوا عباد النصارى؛ والمشر-كين؛ والصابئين في بعض ما لهم من الأحوال ومن كان كاذباً فهو منافق ضال» اهـ.

❁ إفتائه بوجوب صيام الدهر:

ذكر الفقيه السردي في قصيدته التي رد بها على قصيدة ابن علوان لأنه كان يفتي بوجوب صوم الدهر مخالفاً بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال أهل العلم فقال رحمه الله في الرد عليه .

أقل شيء أتاه بدعة شهدت صيام يوم، وصوم الدهر ما وجبا

❦ إفتائه للناس بالإفطار من شهر رمضان قبل استكمال العدة لرؤية منامية رآها.

وذكر عنه الفقيه السرددي أنه أمر خطيب "يفرس" أن يخطب لهم العيد قبل استكمال رمضان أو رؤية الهلال وذلك أنه رأى في المنام أن رجل أتاها فأخبره بانتهاء رمضان فقال رحمه الله في الرد عليه.

وقال: قد جاءني في النوم يخبرني شخص به فهو اليوم قد كتب
وقال في (يفرس) يعني الخطيب بها اخطب وإلا أمرن من بها خطبا
وذاك قبل ثبوت الفطر قال له وقبل إتمامها شهرا لقي الأربا
انظر لذلك [هجر العلم ومعاقله في اليمن] للأكوع.

قلت: الرؤية المنامية لا يثبت بها صيام بالإجماع كما نقل الإجماع في ذلك القاضي عياض ونقله عنه الإمام النووي رحمه الله في [شرح المذهب] (٦/ ٢٩٢).
قلت: وكذلك لا يثبت بها إفطار.

قلت: وبعد موته افتتن به خلق كثير من العميان ممن استزلهم الشيطان فاستغاثوا به وقربوا إليه أنواع القربات وصرفوا له من العبادات ما لا يصح إلا للرحمن، فلما أدرك ذلك الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وكان ولياً للعهد حينذاك أمر رجلاً أن يهدم قبره وأن ينقل رفاته إلى مكان مجهول وذلك سنة ١٣٦٢ هـ فنعم ما صنع رحمه الله، لكن مع ذلك فإن كثيراً من عباده معتقدون أنه ما زال مقبوراً في (يفرس) فيذهبون إليه مستنجدين، وبأتربة قبره متبركين، إن عقت نسائهم طلبوا منه الولد، وإن هجم عدو نادوا المدد المدد، ونسوا ربهم الأحد ❦ آمَنُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ❦ [النمل: ٦٢] فالجأوا إلى ربكم معشر- المسلمين ولا يغوينكم الشيطان إنه لكم عدو مبين.

كتبه : أبو بكر بن عبده بن عبد الله بن حامد الحمادي
كان الانتهاء منها في سنة ١٤٢٥ هـ وبعد هذا التاريخ أضفت إليها إضافات أخرى والحمد لله رب
العالمين .

فهرست الموضوعات

- الباب الأول: في ذكر مقدمة نافعة في التوحيد ٣
- فصل: في بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ٣
- فصل: في بيان معنى الشرك وعظيم خطره ٧
- فصل: في بيان أن أعظم أنواع الشرك هو الشرك المتعلق بالأولياء، والصالحين ١٣
- فصل: سد النبي صلى الله عليه وسلم جميع الطرق الموصلة إلى الشرك في الصالحين ١٨
- فصل: في بيان حقيقة الولي ٢٩
- فصل: في بيان شرك المشركين الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دمائهم وأموالهم ٣٣
- الباب الثاني: في بيان عقيدة ابن علوان ٣٨
- ❖ قوله بحلول الخالق في المخلوق: ٣٩
- ❖ تصريحه بوحدة الوجود: ٤١
- ❖ تقريره للفناء الصوفي ٤٢
- ❖ إنكاره لصفة اليدين لله سبحانه: ٥٣
- ❖ إنكاره لصفتي الساق والقدم لله سبحانه: ٥٤
- ❖ إنكاره لصفة النزول لله سبحانه: ٥٥
- ❖ تقربه إلى اسم الله واسم رسوله صلى الله عليه وسلم: ٥٦
- ❖ سؤاله لربه بمخلوقاته: ٥٧
- ❖ إثباته لعقيدة الصوفية في الأقطاب، والأوتاد، والأبدال ٥٨

- ٦١ تفسيره لرؤية الله في الآخرة بالمعرفة: ✽
- ٦٢ دفاعه عن العلاج الملحد: ✽
- ٧٠ التقرب إلى الله بالرقص والتصفيق في المساجد: ✽
- ٧٤ إفتائه بوجوب صيام الدهر: ✽
- ٧٥ إفتائه للناس بالإفطار من شهر رمضان قبل استكمال العدة لرؤية منامية رآها. ✽